(من كتاب الحجِّ وروح العبادة فيه)

(٧)

التلبيةُ والإهلال في الحجِّ

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

من شعائر الحجِّ الظاهرة: التلبية والإهلال.

ولقد كان التوحيد في تلبيةُ رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا، فكان يُلبّي بقوله: **(لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ، قال جابرٌ: لا يَزِيدُ عَلَى هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ)**[1].

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يلبي وهو مستحضرٌ ألوهية ربه البيّنة، فكان يقول في تلبيته: **(لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ)**[2].

فالتلبيةُ شعار التوحيد، الذي هو روح الحجِّ ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها؛ ولهذا كانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل بها الحاجُّ في النُسك.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد، وهو في السلسلة الصحيحة.

ومعنى التلبيـة: الإجابة بعد الإجابة، كأنّه قـال: كلما أجبتك في أمـر فأنا في الأمر الآخر مجيب، فالحاجُّ قد اسـتجاب لأمر ربه الذي أمره بالحجّ إلى بيته، فانقاد له ولبّاه.

ومن معاني التلبية: الإقامـة واللزوم، فيبقى الحاجُّ مقيمًا على طاعة ربه ملازمًا لها طيلة أيّام نسكه.

ومن معانيها: أنها تتضمـن الخضوعَ والذُّلَّ، أي خضوعًا لك بعد خضوع، من قولهم: أنا مُلِبّ بين يديك، أي خاضع ذليل.

ومن معانيها: حُبًّا لك بعد حب، من قولهم "امرأة لَبّة" إذا كانت مُحبّة لولدها، ولا يقال لبيك إلا لمن تحبه وتعظّمه، ولا أعظمُ حُبًّا من عبدٍ أحبَّ ربه ومولاه، فاستجاب لأمره، ولبّى نداءه.

وهي متضمنة لإخلاص العمل، مأخوذ من لُبِّ الشـيء، وهو خالصه.

فتأمّـل أثر التلبية في نفس المُلبّي حين يقولها مسـتحضرًا هذه المعـاني، فهو مجيـبٌ لربه، منقادٌ لـه، مقيمٌ وملتـزمٌ لطاعته طيلة نُسـكه وعباداته في الحـجِّ، محبٌ لمولاه، خاضعٌ لـه، ولُبُّ تلك المعاني (الإخلاص لله فيها).

ولو سكنت معاني هذه التلبية في نفس كلّ ملبٍ لشعر بأثرها، ولأدَّى عبادة الحجّ والعمرة بصورة يُرى أثرها عليه.

فلذا كان لزامًا على كلِّ مُلَبٍّ، ومتقرّب إلى ربه بهذا النُسك الجليل أحياء هذه المعاني في نفسه عند تلبيته لينتفع بها، وليؤدِّيَ هذه العبادة على أكمل وجه.

لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثر من التلبية في مناسك الحجّ كلها من حين إحرامه حتى يرمي جمرة العقبة ، وهكذا ينبغي على كلِّ مُحرم أن يفعل ليعيش مع هذه العبادة في غالب أوقات إحرامه، فعنَ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّه كانَ رِدْفَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عَرَفَةَ إلى المُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الفَضْلَ مِنَ المزْدَلِفَةِ إلى مِنًى، قالَ: فَكِلَاهُما قالَ: **"لَمْ يَزَلِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حتَّى رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ"**(١).

يفعل ذلك مذكّرًا نفسه بها، ومعلِّمًا ومُرشدًا أمّته للإكثار منها حتى يرموا جمرة العقبة يوم العيد.

(١) رواه البخاري.

وقد ذكر النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمّة فضائل التلبية حتى يحرصوا عليها، ويُكثروا منها، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أفضل الحجّ العجُّ والثجُّ"(١).

والعجُّ: رفع الصوت بالتلبية، والثجُّ: سيلان دماء الهدي لله عَزَّوَجَلَّ.

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "ما مِنْ مسلمٍ يُلَبِّي إلَّا لَبَّى ما عن يمينِهِ وشمالِهِ مِنْ حجَرٍ أوْ شجرٍ أوْ مدرٍ حتى تنقطعَ الأرضُ مِنْ هنا وها هنا"(٢).

فإذا لبّى الحاجُّ فإنّه يشعر بترابطه مع سائر المخلوقات حيث تتجاوب معه في عبودية الله، ويكون هو السبب لهذه العبوديات لها.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضلها: "ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ ولا كبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطّ إلا بُشِّرَ بالجنَّةِ"(٣).

فجديرٌ بالحاجّ والمعتمر أن يمضي جُلَّ وقته فيها، وعند تغيّر الأحوال من الصعود والنزول، وعند إقبال الليل وإدبار النهار،

(١) أخرجه الترمذيُّ، وهو في صحيح الجامع.
(٢) أخرجه الترمذيُّ، وهو في صحيح الجامع.
(٣) أخرجه الطبراني، وهو في صحيح الجامع.

فما يُرَى مـن ضعف هذه العبادة عند المعتمرين والحجّاج جدير بإيقاظه، إحياءً لهذه السُنَّة التي ضعُف أداؤها عند الكثير.

والإكثار من التلبية منذ تَلَبُّسِ المُحرم بإحرامه سببٌ رئيسٌ في أداء الحجِّ على أحسـن وجّه، وأكمل حال، فلها أثرها المعلوم في زيادة الإيمان، خصوصًا مع اسـتحضار معانيها، حتى إذا ما شرع في طوافه كانت النفس قد تهيَّأت للعبادة.

وممّا يقوله المُلبّي في تلبيته: (إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ)

(فهي مشتملةٌ لحمد الله الذي هو من أحبَّ ما يتقرّب به العبد إلـى الله، وعلـى الاعتـراف لله بالنعم كلهـا، ولهذا عرّفهـا باللام المفيـدة للاسـتغراق، أي النعم كلها لك، وأنـت موليها والمنعم بهـا، وعلى الاعتـراف بأنّ الملـك كله لله وحده، فـلا ملك على الحقيقية لغيره)[1].

فهنيئًـا لحاجٍّ ألزم نفسـه هذه التلبية في حجّـه، وقالها بحضور قلب.

(١) [انظر مختصر تهذيب السنن لابن القيم (٢/ ٣٣٥-٣٣٩)]